

العرب وأوروبا، ومستقبل العلاقات المشتركة

د. عيسى برهومة - أستاذ اللسانيات المساعد

قسم اللغة العربية - الجامعة الهاشمية

[www.ebarhouma@hotmail.com](mailto:www.ebarhouma@hotmail.com)

## ملخص

بقي البشر من لدن جدّهم الأوّل في سعي دائم نحو تطوير سبل عيشهم، وابتداع طرق جديدة لحياتهم مُكوّنين كمّاً متراكماً من الخبرات والإنجازات التي تعاضمت وتقدمت حتى كانت أسساً وأصولاً لصور الحضارة والمدنيّة التي نراها في وقتنا الحاضر .  
وقد صاحب هذا السعي في مناكب الأرض، والتشبّث بأسباب البقاء إحساسٌ بالتفرد والانسجام مع الذات غير أنّه لم يلبث أن أصبح شعوراً بالمنافسة والطمع بنيل المغام دون المغارم، ومع تكاثر البشر بدأت تظهر الطبقيّة، ويبرز الطمع والصراع بين بني البشر.  
وهذه الدراسة التي أقدمها في مؤتمر " العلاقات العربية- الأوروبية بعد سبتمبر 2001" الواقع والآفاق. تهدف في المقام الأوّل إلى عرض للعلاقات بين العرب وأوروبا ماضياً وحاضراً، وتقييم التجربة التي مرت به العلاقات، وما هي المستندات الموجبة لإقامة شراكة عربية أوروبية، والسبل لرسم إطار لحوار ثقافي متوازن يُهدف من خلاله إلى تحقيق القناعة بحضارة ما؟ وما هي آليات تحقيق هذه القناعة؟  
وقد خلصت الدراسة لجملة من التوصيات والنتائج المعززة للمقولات التي تتبناها هذه الورقة.

### ماضي فكرة الصراع وجوهرها

شاعت في العقد الأخير من القرن العشرين أربع مقولات أو أربعة مفاهيم كانت العناوين العريضة لمرحلة ما بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وأنظمة الاشتراكية في شرقي أوروبا.  
وهذه المقولات هي: " النظام العالمي الجديد" و" نهاية التاريخ" و"صراع الحضارات" و"العولمة الاقتصادية الجديدة" التي غدت علماً على بداية القرن الحادي والعشرين وبداية الألفية الثالثة، غير أنّ الحديث عن صدام أو صراع الحضارات تحديداً لفت الكثيرين من الإستراتيجيين والمهتمين بالشأن الدولي وبمسألة العلاقات الدوليّة، حيث بات يشغل جزءاً كبيراً من المساحات الإعلاميّة – المقروءة والمكتوبة والمسموعة – المخصصة لمعالجة القضايا الدوليّة، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك وواشنطن والتداعيات المرافقة لها.

واتخذت العديد من الكتب من هذا العنوان محوراً قامت به ذواتها، وكثيرة هي الندوات والمحاضرات في هذا المشكل، ونشط الجدل على امتداد العالم حول قضية الحضارات والثقافات وحول الأهداف المعلنة والخفية وراء تلك الأطروحات.

وهذا الجانب من الدراسات ليس مستحدثاً وإنما له جذوره الضاربة في عمق تاريخ الدراسات الإنسانية والثقافية والحضارية، وكان من أهم الأفكار التي سيطرت في هذا المضمار الدعوة إلى

قيام ثقافة كونية ومجتمع تسوده العدالة الاجتماعية أو بعبارة أخرى مجتمع المدينة الفاضلة، وهي هدف الرسائل السماوية وجوهرها، وإذا كانت العدالة والمساواة تمثل الشرط الوجوبي لقيام علاقات سوية بين أفراد الشعب الواحد فإنها من باب أولى أن تكون القاعدة التي يجب أن تسود العلاقات بين الأمم كافة؛ وبمعنى آخر، فإن المساواة والحرية والعدالة هي الدعامات الطبيعية والأساسية لكل مجتمع إنساني، وهي من لوازم الوجود البشري.

فقد كثرت في السنوات الأخيرة المؤتمرات التي دعت إلى حوار الأديان لمحاولة التقريب بين القيم والمبادئ الأخلاقية والاجتماعية لكل منها؛ سعياً لصوغ منظومة أخلاقية واجتماعية تكون دستوراً لأفراد القرية الكونية أو سكان المدينة الفاضلة.

وكان أيضاً من مظاهر إحلال الأمن والسلام في العالم بصورة تعكس الرغبة في إيجاد مجتمع تسوده المحبة بعيداً عن أجواء التناحر والقتال ظهور بعض الجمعيات والمنظمات التي جعلت من التكافل الاجتماعي الإنساني شعاراً لها وغاية، مثل مؤسسة الصليب الأحمر والهلال الأحمر وغيرها من المؤسسات التي تقدم العون والمساعدة لأي شعب منكوب دون النظر إلى ثقافته أو ديانته أو لونه أو عرقه.

وفي مقابل هذه الصور المشرقة تقفز إلى الأذهان صور أكثر دموية وأسى وهي صور الصراع الدائر في بقاع مختلفة من الأرض وبؤر متعددة للصراع والتوتر في العالم، ففضلاً عن الصراع التاريخي بين العرب والمسلمين والكيان الصهيوني، تتوزع بؤر الصراع على امتداد خارطة العالم، من أفغانستان إلى الشيشان، فدارفور، فالصومال، والنزاع اليمني الأريتيري، وأخيراً الصراع العراقي - الأمريكي.